انجازات مضيئة وفكر اداري نادر

سلام الريّس: ما دخلت السّياسة مجالا الاّ وخرّبته!

"مشاكل اليوم لا تقلقني لأنني ما زلت أعمل على حلّ مشاكل الأمس"

شعار يلفتك على مكتبه، ويظهر جليّا على وجهه عندما يتحدّث، برباطة جأش وثقة، بموضوعية العالم ودقّة الاداري. يحدّثك عن كلّ ما تريده الاّ عن نفسه، مقلّ في اطلالاته الاعلامية ولكنّه اذا أطلّ فليغني مجاله على طريقة ما قلّ ودلّ...

خبرة عقود في مجال ادارة المستشفيات. وتمرّس طويل في مشاكل القطاع الصحّي وصعوباته وانجازات وأحلام في هذا الاطار سرقنا عن أخبارها ما استطعنا من صاحبها المدير العام لمستشفى القدّيس جاورجيوس الجامعي الأستاذ سلام الريّس.

ولد سلام الريّس في بيروت عام ١٩٤١. تلقى علومه في «الانترناشونال كولدج» في بيروت قبل أن يتخصص بالادارة العامة في الجامعة الأميركية ويتوج اختصاصه بماجستير في الادارة الصحية من جامعة «جورج واشنطن» في الولايات المتّحدة.

بدأ الريّس عمله في مستشفى الجامعة الأميركية في بيروت عام ١٩٦٥ حيث تألّب في مراكز ادارية عدة ثم انتقل للعمل مع وزارة الصحة في مملكة البحرين لمدة ثلاث سنوات. وفي العام ١٩٨٣، بدأ العمل في مستشفى القدّيس جاورجيوس الجامعي حيث تسلّم ادارة المستشفى كمن يتسلّم كرة من نار في أوج الحرب اللبنانية...

وعن تلك المرحلة يقول :»لم نعمل الكثير حتى العام ١٩٩٠ نظرا لظروف الحرب وفي ظل قوى الأمر الواقع وأجواء المشاكل والمعارك. وما حققناه من التسعينات حتى اليوم مردّه الى فريق العمل ككل والى سيادة المطران الياس عوده الذي رعى وأشرف على عملنا من تخطيط وتطوير للأنظمة وتأهيل الموظفين الى تميّز الطاقم الطبي والتمريضي وأخيراً تجديد المبنى والمعدات الطبية والإدارية». وهذا الفريق المتجانس، الذي ما زال يعمل في المستشفى منذ ٢٥ سنة الى اليوم، خلق جوا من الاستقرار النفسي لدى الجميع مما انعكس ايجاباً على سير العمل، وان كان الدم الجديد ضرورياً أيضاً من أجل التطوير وابتكار أفكار خلاقة، وهو أمر يحتاج أولا الى خلق فرص جديدة ليست متوفرة في القطاع الصحي اللبناني».

مستشفى يونفرسال - Universal Hospital

رأس بعلبك - هاتف: ٠٨/٢١٠٥٧٠ - ٠٨/٢١٠٥٦٠ فاكس: ٠٨/٢١٠٥٦٠

الادارة شطارة

واذا كان نجاح أي مستشفى يتطلب فريق عمل متجانساً الا أنّ ادارة المستشفى تتطلب مديرا له صفات محددة وعلى رأسها «النفس الاداري» كما يقول الريّس الى جانب الشهادة ويضيف: «اذا غاب النفس الاداري فعندئذ لا تنفع الشهادة. وعلى سبيل المثال لقد أخذنا مدرائنا من اختصاصات عدة كالطب، الهندسة، المحاماة، الاقتصاد والمال، وتم تعيينهم حيث حققوا نجاحات وليس فقط في مجال اختصاصهم».

وعن ادارة الأطباء للمستشفيات، لا يرى سببا مباشرا لفشلهم في ذلك اذا ما كان لديهم النفس الاداري المطلوب وان كان هذا النفس نادرا عند الأطباء لأن تفكير الطبيب يختلف اجمالا عن تفكير الاداري كما يوضح الريّس. ويشير في هذا الاطار الى افتقار المستشفيات اليوم الى «مدراء حقيقيين متخصصين نستطيع تبادل الأفكار والخبرات معهم...»

تصنيف المستشفيات

ان النوعية في العمل الاستشفائي تبقى من أهم أهداف المستشفيات في لبنان والعالم وقد تم وضع معايير وأسس لتطوير الخدمات الصحية على مر العقود مما ينعكس ايجابيات بديهية على كل من المستشفى والمريض. وقد أسس مستشفى القديس جاورجيوس لنفسه مكانا متقدما في هذا المجال. واذا كانت ايجابيات معايير تصنيف المستشفيات معروفة ومسلما بها فان الريّس يسجل بعض السلبيات غير المتعلقة بالمعايير نفسها بل بسوء استغلالها اذ «ان عملية التصنيف تم ربطها بالأمور المالية سعيا الى الربح المادي فقط ،وبالتالي فان نتائج برامج التصنيف لم تكن على قدر الآمال وبخاصة أن المريض يحكم على المستشفى من خلال خدمات أخرى يلمسها هو شخصيا وهي بعيدة عن الأحكام أو النتائج المرجوة من برامج تصنيف المستشفيات أو تطوير الجودة...»

تطلعات مستقبلة أم حلم؟

طموحات سلام الريّس لا تخصه بل تخص الناس، لا يحلم بمنصب أو بمركز بل بخدمات تكون أقرب الى الناس ومن هذه الطموحات انشاء مراكز عيادات الطب العام تحتوي على مختبرات مختلفة، يستفيد من خلالها المشترك من كل مجالات الطبابة ما عدا دخول المستشفى طبعا، وهذا النوع من المراكز له ايجابيات كثيرة على صعيد تسهيل

مساره الطبيعي ليتقدم عليه العنصر المادي فتصبح الثقة متأرجحة بالطبيب وبالمستشفى على حد سواء ...»

واقع مرير يرسمه الريّس للأوضاع الصحية في لبنان ولكنه الواقع. أما الأسباب فيعزوها الى علة العلل: السياسة. الواقع السياسي للبلد ينعكس خرابا على القطاع الصحي «لأنه يتدخل فيه لمصلحة ما». «إن التخطيط والإنماء الصحي ينجح مع وزير ويفشل مع آخر وفي افضل الاحوال يُطوى في الادراج لسنوات وسنوات...» «فما دخلت السياسة قطاعا الا وخربته لأنها في لبنان مجرد تبادل مصالح ومحسوبيات فيما الدولة الحقيقية غائبة لصالح قوى الأمر الواقع في الحرب كما في السلم».

لماذا لا يدخل معترك السياسة ليغير من الداخل؟ «لإنني لست مهتماً بالسياسة كما تمارس عندنا. وثانياً لأن السياسة بنظري هواية ووجاهة. قلة من إستطاع من أهل السياسة إتباع منهج إنتاجي واضح. إني مواطن عادي، أريد لبنان دولة مستقلة قادرة على رعاية مواطنيها في جو واضح للحقوق والواجبات. إن لبنان غني بالطاقة البشرية التي تستطيع أن تحدث تغييراً إيجابياً في الحياة العامة. إلا أنها مستغيبة أمام التناحر السياسي الذي أخذ مجده على شاشات التلفزة معناً في إحباط المواطن. فليكن للسياسيين ملعبهم إن شاؤوا وليتركوا إدارات الدولة تعمل مع القطاع الخاص أفراداً ومؤسسات لتطوير البرامج والمناهج التي تفيد الوطن والمواطن شرط أن تكون الكفاءة أولاً معياراً المتابعة الطبية للجميع». لهذه البرامج أهمية كبرى، حيث يتعاون القطاع الخاص والعام على تحقيقها شرط أن لا تتدخل السياسات الضيقة بمعالجتها فتفسدها وتنحرف عن مسارها. وهنا تجدر الإشارة الى أنه تم افتتاح مؤخراً مركز لمعالجة الجروح في المستشفى، وهو الأول من نوعه في لبنان.

الى جانب مركز العيادات العامة يطمح الريّس الى انشاء شبكة لخدمات الطوارئ تقوم على ربط المستشفيات بمراكز طوارئ عبر سلسلة مترابطة يتم على أساسها نقل كل حالة من الحالات الطارئة الى مستشفى معين متخصص بتلك الحالة. وهو أمر يتطلب تبادل الخبرات بين المستشفيات مما ينعكس ايجابا على الجميع مستشفيات ومرضى. وقد تم عرض المشروع على وزارة الصحة منذ عدة سنوات لكنه ما زال في طور الدراسة...

لبنان والخارج

يرى الريّس الواقع الاستشفائي في لبنان الى تراجع رغم وجود الكفاءات ويؤكد «أننا نسبق دول الخليج بأشواط ولكننا نتراجع أمام المملكة العربية السعودية مثلا التي تتقدم باستمرار سواء من خلال التجهيزات او الجهاز البشري. فيما نتراجع نحن بسبب سوء الممارسة. للأسف، فنحن لدينا امكانيات هائلة وجهازا بشريا مؤهلاً ولكنه يتراجع في غياب الضوابط. ففي بعض الاحيان ينحرف العمل الطبي عن لتعيين إداريي الدولة. هذا ينطبق على القطاع الصحي كما على باقي القطاعات الأخرى.

سياسة العمل

اذا كان الريّس يرفض التعاطي بالسياسة للأسباب المعروفة فان له سياسة خاصة في العمل لا يتراجع عنها، وشعارها: «لا أقرباء في العمل» انطلاقا من رفضه القاطع للمحسوبيات، ولأن القرابة والمحسوبية تعيق مبدأ المحاسبة».

وبعيدا عن المستشفى قد تراه يمارس هواية التصوير الفوتوغرافي أو يستمتع بتنقيب وزراعة الحديقة في بيته المتواضع في بلدة زوجته حامات. هموم العمل يتركها في العمل وقد تمرس فعلا على الفصل بين البيت والمكتب، «عندما أقفل باب المكتب أقفله على مشاكل العمل لأنها لا تنتهي» عاملا بشعار: «مشاكل اليوم لا تقلقني لأنني ما زلت أعمل على حلّ مشاكل الأمس».

وعلى تلك المشاكل لا يقوّيه الا الايمان بالله الذي يراه «كل شيء» مقيما معه علاقة محبة وصلاة من نوع آخر يستطيع من خلالها مناجاته في كل حين وفي أي مكان...

لارا سعد مراد